من أفلاطون إلى دريدا (أو من الكلام إلى الكتابة)

زروقي كمال*

الملخص باللغة العربية:

لقد قام التراث الغربي في تاريخه على إعطاء الأفضلية للكلام على حساب الكتابة و تمتد جذور هذه المركزية للصوت مند أفلاطون و روسو و دوسوسير، و قد تبين لدريدا من خلال كتاباتهم أن الفكر الغربي قائم على ميتافيزيقا الحضور أي أولوية الكلام على الكتابة، هذه الأخيرة التي كانت تمثل خطرا و تهديدا بل عائقا أمام الحقيقة، و بهذا حاول دريدا قلب الموازين من خلال إعادة الاعتبار للكتابة و التأكيد على أهميتها و فاعليتها، وبهذا فإن التفكيك جاء ليقوض كل الأسس الماورائية للفكر متبنيا ثقافة الاختلاف، فتفكيك الخطاب مهما كان نوعه و جنسه غرضه الولوج إلى بنية الخطاب و ما ينطوي عليه من معاني متجددة.

الكلمات المفتاحية: التفكيك، اللوغومركزية، اللوغوس، الكلام، الكتابة، الاختلاف.

3-ملخص باللغة الإنجليزية:

Abstract: In its history, the oxidental heritage has given priority to speech rather than writing. It lasted from Plato, Rousseau and de saussure. According to their writing, derrida has come to conclusion that the western thought was based on the [1]metaphysics presence, that's to say priority to speech on writing and this was a threat and danger more over it was an obstacle to truth and reality. that's why derrida had tried to upset the balance by reconsidering writing and emphasized on its importance and efficiency. So the dismantle was to undermine all the basic of the thought's theory basing on culture of

* باحث دكتوراه بكلية العلوم الاجتماعية، قسم الفلسفة، جامعة وهران2، مخبر الأبعاد القيمية للتحولات الفكرية و السياسية بالجزائر، جامعة وهران. Kamelzerrouki13@gmail.com.

difference. And so the dismantle of speech whatever it was its kind or gender it aims at acceding to the structure of the speech and its renewable meanings.

Key words : Deconstruction, decentralization, logos, speech, writing, difference

مقدمة:

يرتبط التفكيك باسم جاك دريدا الفيلسوف الذي أثار الكثير من الجدل في القرن العشرين، دريدا الذي أسس لنظرية نقدية اهتمت بإعادة قراءة النصوص على اختلافها، و قد تبين له أن تاريخ الفكر الغربي قائم على ثنائيات متعارضة كتابة/كلام، وعي/لاوعي، حضور/غياب، حقيقة/وهم، خير/شر... و كان محور اهتمام دريدا هو مركزية اللوغوس و أولوية الصوت و الكلام من حيث هو تعبير عن الفكر في مقابل الكتابة التي تم إقصائها و تهميشها، و هو ما دفع بفيلسوف التفكيكية إلى إعادة الاعتبار للكتابة، و كان ذلك من خلال عدة كتب خاصة "الكتابة و الاختلاف" "الصوت والظاهرة" "في علم الكتابة" و هي مؤلفات تناولها الكثير من الدارسين بالبحث و التحليل و النقد، فالكتابة حسب دريدا لم تولَ الأهمية التي تستحقها مند أفلاطون. فما الذي قدمه دريدا كجديد من خلال نقده للتراث الغربي؟ و هل استطاع أن يؤسس لمكانة الكتابة أمام حضور الكلام؟ و هل ما جاء به دريدا هو انتقال من التمركز حول اللوغوس إلى التمركز حول الكتابة؟.

تفكيكية دريدا:

ولد الفيلسوف التفكيكي المثير للجدل جاك دريدا بالأبيار في الجزائر سنة 1930 و هو ينحدر من عائلة يهودية هاجرت من الأندلس إلى شمال إفريقيا، و بالرغم من أن دريدا انتقل إلى فرنسا إلا أن الهوية الجزائرية بقيت حاضرة في ذاكرته.[1]

و قد كان لثورة الطلاب عام 1968 أثر كبير في شهرة اسم دريدا، هذه الثورة التي انضم إليها الكثير من المفكرين و المثقفين في فرنسا، في حين أن كل من ألتوسير وكلود ليفي ستراوس رفضا الانضمام لهذه الحركة و النزول للشارع و هذا ما أثار ردود أفعال ساخطة على موقفهما مما أدى إلى انحسار دور المفكرين البنائيين في الحياة العامة، و من جهة أخرى التف الشباب حول دريدا و موقفه الداعم للثورة فاعتبروه ممثلا لاتجاه فكري جديد يتجاوز تلك البنائية...كما أن موقف دريدا من هذه الثورة

1- التيجاني بولعوالي: صورة الإسلام في المنظور الفلسفي التفكيكي، مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، 2017،(دص).

أثر عليه من ناحية أخرى سلبا و ذلك حين رُفض ترشيحه لمنصب أستاذ الفلسفة في جامعة نانتير مهد الحركة الطلابية، هذا الموقف الذي اتخذته الجامعة كان محل سخط من طرف المثقفين و المفكرين الذين اعتبروا دريدا أحد معالم الفكر في فرنسا.[1]

التفكيك: Déconstruction

من الصعب تحديد مفهوم ثابت و مضبوط له. فالتفكيك يتخذ عدة مظاهر فقد يبدو كموقف فلسفي و قد يبدو تارة أخرى كاستراتيجية سياسية أو فكرية كما قد يعني طريقة في القراءة[2]، و قد نال دريدا شهرة كبيرة في أفق المدارس النقدية المعاصرة بعد أن تلقى دعوة من طرف رينيه جيرار للمشاركة في مؤتمر ضخم في بالتيمور جامعة جون هوبكينز تحت عنوان "لغات النقد و علوم الإنسان" و قد قدم دريدا بحثا تحت عنوان "البنية، العلامة، و اللعب في خطاب العلوم الإنسانية" و كان لبحثه هذا صدى كبيرا.[3]

لقد اختلف في ترجمة مصطلح "ديكونستركشن" deconstruction" إلى العربية فهناك من ترجمه إلى التفكيكية، و ترجمه البعض إلى التقويض أما البعض الآخر فقال بأن الكلمة ترادف التشريحية، لكن الحظ كان حليف مصطلح التفكيكية في التداول والملاحظ أن هذا المفهوم يحيل في قراءته الأولى إلى الهدم و التخريب لكن عند البحث في مستواه الدلالي العميق يرتبط بتفكيك الخطابات و النظم الفكرية من أجل الغوص في أبعادها التي تنطوي على الخفي و المطمور.[4]

لقد انبثق التفكيك من داخل البنيوية نفسها أو كنقد لها بحيث اهتم بمشكلات المعنى و تناقضاته محاولا زعزعة فكرة البنية الثابتة...و قد قامت التفكيكية على مبدأ اعتباطية العلامة اللغوية لدى دوسوسير و بهذا أصبح الدال منفصلا عن المدلول أي أنه لم يعد بالإمكان إعطاء النص معنى محددا.[5]

---

[1]- أحمد عبد الحليم عطية: جاك دريدا و التفكيك، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010، ص16،17.

[2]- أحمد العزري: تلقي التفكيكية في النقد العربي الحداثي-علي حرب أنموذجا-، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو 2012، ص11

[3]- أحمد عبد الحليم عطية: جاك دريدا و التفكيك، مرجع سابق، ص10

[4]- فاطيمة زهرة سماعيل: القراءة التفكيكية، مجلة عود الند، العدد 79، 2013، (دص)

[5]- يمينة بن سويكي: استراتيجية الخطاب النقدي عند عبد الله الغدامي، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008، ص12

إن هدف التفكيك هو أن الخطاب ينتج باستمرار و لا ينتهي بموت كاتبه، لهذا فهو يدعو إلى الكتابة بدل الكلام لأن الكتابة تنطوي على ضرورة البقاء حتى في غياب من أنتجها أول مرة، و هو ما يغيب في الكلام كما أن دريدا اعتبر أن الفكر الغربي يتأسس على ثنائيات متقابلة: العقل/العاطفة، الذات/الآخر، المشافهة/الكتابة، الرجل/المرأة، هذه الثنائيات التي كان الامتياز فيها دائما يمنح للطرف الأول، و عليه فإن التفكيكية لا ترتبط أو تقول ما أراد القول قوله بل تتعدى إلى ما لم يقله القول، و بهذا فإن التفكيكية حولت اهتمامها للقارئ لا للمؤلف و كأن التفكيكية تدعو إلى موت المؤلف و ميلاد القارئ.[1]

و تجدر الإشارة إلى أن "التفكيكية في روحها و فلسفتها جاءت لزعزعة وخلخلة المفاهيم التي تمكنت من الثقافة الغربية، و أصبحت في حكم المسلمات بهدف بيان زيفها و تقويضها في النهاية كما فعلت مع مفهوم "الحضور" و "المراكز المبجلة" و "مركزية العقل" و"مركزية اللغة" و حلت الرباط الوثيق المقدس و الساذج في الوقت نفسه بين "الدال" و "المدلول"، و فيما يتعلق بالنصوص حاولت التفكيكية أن تخلخلها بالكشف عن التماسك الزائف الذي تحاول أن تظهر به".[2]

وعليه فالتفكيكية تبحث في كشف تناقضات النص ووهم الاستقرار الذي يوحي به "و على حد تعبير باربرا جونسون فإن تفكيك النص يقوم على تأليب قوى الدلالة المتناحرة داخل النص على بعضها البعض، فيضرب بذلك الاستقرار القلق الذي يدعيه أي معنى"[3]، و يبدو من خلال هذا "أن سمة الخلخلة و الزعزعة والهدم والتقويض و الفك والتفكيك...تشكل روح و فلسفة هذا الاتجاه الذي يشكل...حركة ما بعد الحداثة و ما بعد البنيوية".[4]

هذا ما جعل دريدا ينظر إلى "النص كما لو كان يتألف من "الخيوط" المختلفة التي تتداخل بعضها مع بعض، ليس مثلما تتداخل خيوط قطعة من القماش أثناء عملية النسج و لكن مثلما تلتف الخيوط بعضها ببعض أثناء عملية الجدل لصنع

---

[1]- فاطيمة زهرة سماعيل: القراءة التفكيكية، مرجع سابق، (دص)

[2]- عبد الكريم شرفي: خطيئة الغدامي من يكفر عنها؟ أو المسافة البعيدة بين "تشريحية الغدامي" و "تفكيكية دريدا"، مجلة الخطاب، جامعة المدية، 2010، ص118

[3]- المرجع نفسه: ص 121

[4]- عبد الكريم شرفي: خطيئة الغدامي من يكفر عنها؟ أو المسافة البعيدة بين "تشريحية الغدامي" و "تفكيكية دريدا"، مرجع سابق، ص 123

حبل أو جديلة، ففي عملية الجدل تتبادل الخيوط مواضعها باستمرار لكي تتخذ في آخر الأمر شكل الحبل".[1]

و قد توصل دريدا من خلال هذا إلى تحديد أسلوبه في تحليل النص و أطلق عليه اسم " "استراتيجية التفكيك" أي تفكيك النص لإظهار أنه عبارة عن مركب يتألف من عدد من النصوص الأخرى، و لكن هذا التفكيك خليق بأن يكشف في الوقت ذاته عن الطريقة التي أمكن بها تركيب النص في أول الأمر فتفكيك رواية توماس مان "حالة وفاة في فينيسيا" مثلا قد يكشف عن أن هذه الرواية هي من فهم المؤلف لفلسفة شوبنهاور و نيتشه و تمثله اللاواعي لآراء أفلاطون و هكذا".[2]

التصور الغربي للكتابة:

نقد سقراط للكتابة:

لقد وجه سقراط انتقادا حادا للكتابة و كان "يستهدف أولا "اللوغوغراف" وهو بصريح العبارة و في البدء "الكاتب العمومي" الذي كان يهيئ للمترافعين خطابات يتلونها في المحاكم دفاعا عن أنفسهم. و كان سقراط يتهم هؤلاء الكتاب بالغش: ينشؤون خطابات في قضايا لم يعيشوها بأنفسهم، و يصدرون خطابا لن يقرؤوه أو يدعموه أنفسهم".[3]

لقد بين أفلاطون وجهة نظره من الكتابة في محاورة فايدروس التي جاءت على لسان سقراط الذي استعرض الحكاية المصرية القديمة و "كيف أن الاله (theuth) قدم لملك مصر هدية الكتابة التي يمكن أن تكون "وصفة للذاكرة و الحكمة" فلم يتأثر الملك، لأن هذا الاكتشاف برأي الملك سوف يقود المتعلمين إلى النسيان، لأنهم سيتقون في الكلمة المكتوبة و يفقدون الاعتماد على ذاكرتهم، و قال الملك أن الكتابة لن تساعد الذاكرة، و بدلا من ذلك تقوم الكتابة بدور المذكر. و بالتالي لم يكن الاله تيوت يقدم للمتعلمين حكمة حقيقية بل كان يقدم لهم شبيهها (معرفة افتراضية؟)"[4]، وعليه فإن الكتابة بهذا المنظور هي مصدر للتلاعب و الاحتيال على جوهر الانسان، لهذا "قال

[1]- أحمد عبد الحليم عطية: جاك دريدا و التفكيك، مرجع سابق، ص21

[2]- المرجع نفسه: ص21

[3]- جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، ترجمة كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، تونس 1998، ص06

[4]- أ.دبليو(طوني بيتس)، غاري بول: التعليم الفعال بالتكنولوجيا في مراحل التعليم العالي. أسس النجاح، ترجمة: إبراهيم يحي الشهباني، العبيكان، الطبعة الأولى، 2006، ص84

سقراط ما هو أكثر اقناعا إن الكتابة غير قابلة للسؤال، و لذلك لا يمكن تحدي معناها، و لهذا الكتابة أدنى من المحادثة من أجل الحصول على الحقيقة".[1]

و السبب في دمّ الكتابة هو أن هذا "الاختراع سينتهي بمن سيتعلمونه إلى ضعف التذكر لأنهم سيتوقفون عن تمرين ذاكرتهم حين يعتمدون على المكتوب...أما بخصوص الحكمة فإن ما قدمته لتلاميذك ليس هو الحقيقة بل مظهرها فهم حين يتجرعون بفضلك المعلومات بغير استيعاب يبدون قادرين على الحكم في كل شيء بينما هم معظم الأحيان جهلة لا يمكن تحملهم، و من ثم يكونون أشباه الحكماء من الرجال لا الحكماء".[2]

إن اعتراض سقراط على الكتابة كان من منطلق أن الاعتماد على الكتابة سوف يجهز على الذاكرة، و الذين يعتمدون عليها سوف يصبحون كثيري النسيان فهي تضعف القوى العقلية و تضعف كذلك الاستعدادات النفسية[3]، و بهذا يصبح الكلام "حديث حي ذو نفس، و أن الحديث المكتوب ليس في الواقع إلا شبحا له".[4]

إن الكتابة في حقيقتها ما هي إلا وسيلة للتعبير عن الأفكار، هذا ما يجعلها غير إنسانية لأنها تنشأ خارج الذات و بمنأى عن العقل و "ما كان يقلق الميتافيزيقا في الكتابة، لم يكن فحسب اقتراب الأخيرة من اللعب و السحر، بل يقلقها خصوصا تهديد الكتابة بتفتيت وحدة العائلة إذ تتقدم الكتابة كاللقيط التائه، أو حتى القاتل للأب".[5]

إن الكتابة سلبية و تعد خطرا و آفة خطيرة تهدد الذاكرة لهذا فهي كالترياق الذي يسبب الموت و إن كان هناك عامل ينشط الذاكرة فهو الكلام[6]، لذلك " يقول غورجياس في "مديح هيلانة". تقدر سلالة الكلام أن تكون أعنف من سلالة الكتابة، وتسللها الكاسر أكثر عمقا و أكثر اختراقا، أكثر تنوعا و أكثر تقة. وحده يلوذ بالكتابة من

[1]- المرجع نفسه: ص84
[2]- أميرة حلمي مطر: محاورة فايدروس لأفلاطون أو عن الجمال، دار غريب، القاهرة، 2000، ص110
[3]- عبد الله إبراهيم: الكتابة و الترياق، جريدة الرياض، 2014/9/6، العدد 16875 www.alriyadh.com
[4]- المرجع نفسه: ص112
[5]- جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، مرجع سابق، ص07
[6]- عبد الله إبراهيم: الكتابة و الترياق، مرجع سابق.

لا يعرف أن يتكلم بأفضل مما يفعل القادم الأول...الكتابة كعزاء، كتعويض عن الكلام الواهي و كعلاج له"[1]، فالكتابة تعد غريبة عن النفس بينما الكلام نابع منها.

لقد دمّ سقراط الكتابة لأنه كان يعتبرها تغيبا للإنسان عن ذاتيته كما أنها تضع الحواجز بينه و بين المتلقي يقول سقراط "بأن المواطنين الأكثر وقارا و قوة، و الرجال الأكثر تحررا، يشعرون بالخزي aiskhumontai من كتابة خطابات و من أن يخلفوا وراءهم علامات مكتوبة sungrammata إنهم يخشون من حكم الاجيال القادمة و من أن يعدُوا سفسطائين".[2]

كما أن الفرق بين الكلام و الكتابة هو كالفرق بين الحياة و الموت، فالكتابة في نظر أفلاطون لا تفصح عن كل أسرارها فهي عقيمة، في مقابل الكلام الذي تظهر قوته في تجدده، فالكلام هو وحده الذي بمقدوره أن يكشف عن مضمونه، "ففي فايدروس يدم أفلاطون الكتابة باعتبارها وسيلة اتصال مهجنة، إذ أنها بانفصالها عن أبيها أو عن لحظة الأصل تتيح المجال لكل أنواع سوء الفهم و سوء التفسير، لأن المتكلم ليس موجودا ليفسر للمستمع ما يدور بدهنه".[3]

دريدا والعودة إلى الكتابة:

ما يمكن أن نميزه في فكر دريدا هو أنه دعا "إلى تثمين فعل الكتابة بما هو الوسيلة الأنجع لضمان ترسيم الأثر الخاص بكينونة الإنسان الزئبقية، و بما هي مفتاح المعنى، و لكنها أيضا بما هي مفتاح التفكيك، التشتيت، البعثرة و المهمازات التي يحسن تحريك توجهاتها بشكل بارع قصد تحطيم كل ما يحيل إلى الكثرة و المركزة والواحد المتأحد للميتافيزيقا الغربية التي ينعتها بميتافيزيقا الحضور".[4]

هذا ما جعل دريدا يهتم بالكتابة خاصة أمام ذلك الإقصاء "الذي مارسه عليها الفكر الميتافيزيقي فينشئ عليها ما يدعوه "الكتابي le grammatique" لكن هنا أيضا و كما يشدد عليه دريدا في مناسبات عديدة فهو لا يقوم بهذا الإعلاء من شأن "الكتبة" على حساب "الصواتة" أو الكتابة على حساب الكلام...بل لإبراز "كتابة أصلية" لا تعني بدورها كتابة الأصول و إنما مبدأ أو حركية للكتابة تعمل في كل من الكتابة

[1]- جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، مرجع سابق، ص70

[2]- المرجع نفسه: ص17

[3]- جون ستروك: البنيوية و ما بعدها. من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة محمد عصفور، عالم المعرفة، العدد 206، 1996، ص193

[4]- جاك دريدا: أحادية الاخر اللغوية، ترجمة: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الطبعة الاولى2008، ص08

والكلام و تجد أساسها في "التفضية" espacement، و التمييزية diacricité أي مجموع عمليات المفصلة التي تخضع لها كل من الكتابة و الكلام".[1]

إن من بين المعاني التي يحملها مصطلح اللوغوس هو اللغة التي تنقسم إلى قسمين الكتابة أو الصوت، و قد أعطت الميتافيزيقا الغربية الأولوية للكلام على حسب الكتابة، "فاللوغوس logos و هو لفظ يوناني يعني الكلام أو المنطق أو العقل، وقد ورد لفظ اللوغوس في "العهد الجديد" في أشد درجاته تركيزا، حيث نقرأ "في البدء كانت الكلمة" هذه الكلمة هي ضمان حضور الأشياء و العالم كله، و على الرغم من أن الإنجيل مكتوب إلا أن أساس كلمة الله هو "النطق" لذا فإن مركزية اللوغوس الغربية قد أعطت الأولوية للكلام المنطوق أي مركزية الصوت على الكتابة"[2]، فاللوغومركزية* تعني "الاعتراف بوجود أصل أسمى يمثل مركزا أو مصدر إشعاع يشعُ بالحقيقة، و بقية الأشياء لا يمكن أن تؤسس لهويتها إلا بالنظر إلى موقعها من هذا المركز".[3]

و هذا التمركز حول الصوت و أسبقية المنطوق على المكتوب يمتد حسب دريدا من أفلاطون و أرسطو إلى حدود ليفي ستروس و فردينان دي سوسور الذين أعطوا الأولوية "للكلام على حساب الكتابة و أقاموا صروحا من الدلائلية القوية و جعلوا الكتابة مادة غريبة عن الكلام و قاتلة للدلالة".[4] و هذا ما يجعل من دريدا "الوحيد من بين المفكرين البنائيين الذي تعرض بالنقد و التحليل و أحيانا بالتجريح لكتابات زملائه، فلم يسلم من نقده الأربعة الكبار الآخرون: جان لكان و ميشيل فوكو و رولان بارث بل و زعيمهم و كبيرهم جميعا كلود ليفي ستراوس، فهو يمثل بذلك اتجاها جديدا و مهما داخل المدرسة البنائية أصبح يطلق عليه اسم "ما بعد البنائية" كما أصبح هو نفسه يمثل "الولد الشقي" في الفكر الفرنسي المعاصر".[5]

---

[1]- جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، مرجع سابق، ص12

[2]- حبيبة دباش: فلسفة الحضور و الغياب عند جاك دريدا، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2009، ص62

*-اللوغومركزية: logocentrisme تعبير على تحدي سلطة احتكار المعنى و ثباته، و كلمة logocentrisme في لغتها الأصلية (الفرنسية) مصطلح مركب من كلمتين (logos) و (centrism) بمعنى تمركز.(أحمد العزري، مرجع سابق، ص51)

[3]- أحمد العزري: تلقي التفكيكية في النقد العربي الحداثي-علي حرب أنموذجا-مرجع سابق، ص52

[4]- ديوان السعيد: الكتابة في النقد التفكيكي عند جاك دريدا من خلال مؤلفه "الكتابة والاختلاف"، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2015، ص37

[5]- أحمد عبد الحليم عطية: جاك دريدا و التفكيك، مرجع سابق، ص16

لذلك فإن "الفلاسفة يكتبون غير أنهم لا يعتقدون أن الفلسفة ينبغي أن تكون كتابة، و الفلسفة التي يكتبونها تعتبر وسائل لتعبير هو في أحسن الأحوال لا علاقة له بالفكر الذي يعبر عنه و في أسوأ الأحوال يعد عائقا أمام هذا الفكر، و يتابع رورتي موضحا أنه فيما يتعلق بالفلسفة: تصبح الكتابة اضطرارا تعسا، لأن ما تبتغيه الفلسفة فعليا الإراءة و البرهنة و الإشارة و الإظهار و الوصول بالمحاور إلى النظرة المحدقة في حضرة العالم".[1]

كما أن "الحماسة الأخلاقية التي ينطوي عليها نقاش سوسير للكتابة تشير إلى شيء مهم محل رهان ذلك أنه يتكلم عن "مخاطر" الكتابة، مخاطر تنطوي على "إخفاء" اللغة و "اغتصاب" دور الكلام أحيانا. إن استبداد الكتابة "قوي و ماكر" و يفضي مثلا إلى أخطاء في النطق تعد "مرضية" أي أخطاء تؤدي إلى إفساد طرق الأداء السوية في النطق أو تلويثها، و اللغويون الذين يعنون بالأشكال المنطوقة "يسقطون في فخ" أن الكتابة حال أن تكون تمثيلا للكلام تهدد نقاء النسق الذي تخدّم عليه".[2]

لذلك فإن هذا التمركز يردُ دائما الحقيقة إلى المنطق و الكلمة و صوت العقل يقول جاك دريدا jacques derrida :"اللوغوس، الكلام الالهي أو كلام العقل بما هو كلام تدبرته ذات إلهية متعالية هو بالتالي، خطاب الذات نفسها بما هي مؤسسة ومدعومة بذلك الخطاب، كلام قادر في عرف الميتافيزيقا أو في وهمها، على استدراك نفسه، تصحيحها و الدفاع عنها فورا، كلام هو بالتالي فوري، ناجز حاضر، و مزوّد بحضور".[3]

و هذا ما يبين قيمة الكلام الذي يبنى على أساس حضور المستمع و المتكلم في آن واحد، أي لحظة الكلام، هذا الحضور الذي ينطوي على أفضلية من حيث أنه يعطي الفرصة لتصحيح الفهم إذا حدث و لم يفهم المستمع الكلام جيدا، لكن بالنسبة للكتابة فأمرها مختلف فهي عبارة عن أفكار ترسم على ورقة غالبا ما تقرأ في غياب صانعها، مما يحيل إلى تعدد الاحتمالات عند قراءتها.[4]

---

[1]- جوناثان كلر: التفكيك، ترجمة: حسام نايل، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 66، 2005، ص92

[2]- المرجع نفسه: ص100

[3]- جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، مرجع سابق، ص05

[4]- حبيبة دباش: فلسفة الحضور و الغياب عند جاك دريدا، مرجع سابق، ص62

كما أن هذا التمركز الصوتي برز في عدة ثقافات و خاصة منها الثقافة اليونانية و الأوروبية[1]، و قد استغرب دريدا مجهودات هوسرل للربط بين العقل والصوت يقول: "و ليس ادعى إلى صرفنا عن الدهشة كالجهد الجبار، المثابر و الدؤوب للفينومينولوجيا لحفظ الكلام و إثبات رابطة جوهرية بين العقل (logos) و الصوت (phone)"[2]، كل هذا يجعل من الكتابة تحتل مكانة ثانوية في التراث الغربي، فهي مجرد ممثلة للكلام تشكل ضعفا كبيرا نظرا لقابليتها للتأويل مما يؤدي إلى موت المعنى المقصود.

دريدا: تبني النقيض

هذا الاهتمام بالكلام على حساب الكتابة جعل دريدا يتبنى النقيض القائم على أسبقية الكتابة على الصوت فتصبح الكتابة هي التي تولد المفاهيم و الأفكار و ليس العكس، فالكتابة الفلسفية تهدف "عند هيدجر و عند الكانطيين إلى وضع نهاية للكتابة في حين تقضي الكتابة عند دريدا إلى المزيد و المزيد من الكتابة على الدوام"[3]، والكتابة في الفلسفة التفكيكية لا تعني سوى الاختلاف و تأجيل لا متناهي للمعنى، لكن يجب أن ندرك بأن التفكيك ليس "كما قد يظن هو الكيد للنصوص الكبرى و السخرية منها و بيان تهافتها، بل إبراز ما فيها من ثراء من خلال إتمام عملية وضع يد القارئ عليها و مساءلتها في ضوء مشكلات عصره".[4]

و بهذا فإن قراءة دريدا لكتابات أفلاطون، روسو، هيجل، و غيرهم ليس من أجل الكيد من نصوصهم بل محاولة منه لإعادة الحياة لهذه النصوص، و ذلك من خلال التنبيه لما أغفلته و تسليط الضوء عليه. وبهذا أسس داخل التفكير الفلسفي مجالا أسماه علم الكتابة، الذي سيؤسس عليه استراتيجيته في القراءة و التأويل و قد انتهي من خلال كتابه علم الكتابة إلى أن الكتابة ليست وعاء لشحن وحدات معدة سلفا، لكن هي في الحقيقة تهدف إلى إنتاج هذه الوحدات و ابتكارها.[5]

---

[1]- حبيبة دباش: فلسفة الحضور و الغياب عند جاك دريدا، مرجع سابق، ص63

[2]- جاك دريدا: الصوت و الظاهرة. مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هوسرل، ترجمة: فتحي إنقزو، المركز الثقافي العربي، الطبعة الأولى، 2005، ص41

[3]- جوناثان كلر: التفكيك، مرجع سابق، ص92

[4]- جاك دريدا: في علم الكتابة، ترجمة: أنور مغيث، منى طلبة، المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، 2008، ص48

[5]- مفهوم الكتابة الأصلية في تفكيك(ية) جاك دريدا،2016/10/5. http://modernitysite.wordpress.com

فالفلسفة الغربية لطالما ارتكزت على الصوت و ظلت مرتابة من الكتابة، فالتقليد الغربي قد تخوف من الكتابة كونها تنشر الوعي و هذا ما جعله يهتم بها، فلا توجد في نظره حواجز بين الكلام و الكتابة بل يعتبر الكلام في حد ذاته كتابة لكن من نوع خاص[1]، فالكتابة حسبه هي قفزة في المجهول فلا يمكن أن "نعرف أين تمضي، لا تعقل يمنعها من هذا الاستعجال الجوهري في اتجاه المعنى الذي تؤسسه هي...إن الكتابة بالنسبة للكاتب حتى إذا لم يكن ملحدا و حتى إذا كان كاتبا هي ابحار بلا عناية"[2].

إن السبب الذي جعل دريدا يتمسك بالكتابة هو أن العلامة المكتوبة بإمكانها أن تتكرر في غياب الكاتب و المتلقي، و يمكن أن تقرأ في سياق مختلف كما يرى دريدا أن المعاني تتحقق من خلال الاختلاف** différance المتواصل في عملية الكتابة والقراءة، و من خلال الاختلاف المرجأ يريد دريدا أن يضع حدا لتناهي الدلالة و منح فرصة أكبر للاحتمال حيث يصبح الدال و المدلول في حالة لعب لا يعرف التناهي مما يسمح بتعدد و تنوع القراءات للنص الواحد[3]، فقد "أكد التفكيك مع دريدا على أن المعنى ليس صوتا، لأننا لا نجد أنفسنا، و نحن نقرأ نصا ما، أمام معنى حاضر و إنما أمام أصداء لمعاني متعددة، أو أمام طبقات من المعاني"[4].

فاللفظ أو الدال لا ينطوي على تعريف محدد و أن مدلول كل كلمة يتحدد من خلال غياب المدلولات الأخرى أي من خلال الاختلاف عن غيره، "فالفلسفة من أفلاطون إلى هيغل هي فلسفة الحضور، و نعني بذلك أن الوعي لا يعترف إلا بما يحضر-في الوعي- لديه فيتخذ شكل الدلالة و المعنى و القانون و الهوية فيتطابق هكذا مع مقولاته...مما يعني أن فكر الإنسان هو مركز الكون...غير أن الانقلاب الذي حصل في

---

[1]- حبيبة دباش: فلسفة الحضور و الغياب عند جاك دريدا، مرجع سابق، ص89

[2]- جاك دريدا: الكتابة و الاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، دار توبقال، المغرب، الطبعة الثانية، 2000، ص143

[3]- حبيبة دباش: فلسفة الحضور و الغياب عند جاك دريدا، مرجع سابق، ص102

**الاختلاف: la différance بإحلال حرف"a" محل "e" في المفردة الفرنسية التي تعني الاختلاف différence لا بما هو تميز ساكن بل بما هو مغايرة فعالة (جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، مرجع سابق، ص10)، و هكذا يكون الاختلاف la difference في حقيقته إحالة إلى الآخر و إرجاء لتحقق الهوية في انغلاقها الذاتي، (جاك دريدا: التفكيكية. إرادة الاختلاف و سلطة العقل، ترجمة: عادل عبد الله، دار الحصاد، دار الكلمة، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، 2000، ص74).

[4]- محمد طواع: ملاحقة سلطة المعنى. أو دريدا مفككا للميتافيزيقا، مجلة فكر و نقد، العدد 26، 2000،(دص)

صفّ الفلسفة مند هيدغر و منه انطلق جاك دريدا يقول بفلسفة الغياب...الفلسفة التي تقول بالآخر المغاير الذي لا يفتأ ينأى عبر صيرورة الاختلاف".[1]

فتفكيكية دريدا تقوم على تحرير و تفجير طاقة الدال و العلامة الخطية بتخصيب دائم للمدلول "و من ثم كانت الكتابة تقود النص إلى ما لا نهاية من توقعاته، باعتبار أن الحقيقة كما عند نيتشه وهم تحتاج في تحققها النسبي إلى تجاوز حدود المعاني المعطاة نحو أصل المعنى"[2]، و على هذا الأساس يتم الانفتاح على النص، دون اعتباره بنية مغلقة أو تتأسس على معنى تام و تابت ووحيد، و بهذا يعتبر دريدا أن لكل "نص حكاية مغايرة، عدم استمرارية النبرة و المفردات و الجملة نفسها و المهارة في الواقع، كما لو أنني لم أكتب أبدا و لم أعرف الكتابة، و كلما شرعت في نص جديد مهما كان بسيطا انتابتني الحيرة أمام المجهول و المتعذر بلوغه و اعتراني شعور ساحق بالخيبة، إن ما كتبته هو الآن معدم بل كأنما ألقي من فوق"[3].

هذا ما جعل دريدا يرى أن "الكتابة ليست مجرد حادثة تاريخية أو انعطاف حضاري أثناء الانتقال، و إنما يراه يعمل عمله في أفلاطون و في عدد كبير ممن خلفوه و جاءوا بعده من خلال بلاغية ذاتية الاستمرار لم يلاحظها المؤرخ التقليدي الذي يؤرخ للأفكار".[4]

و عليه فإن "لعبة الاختلافات تفترض في كل قراءة أن تنظر إلى العناصر كالدلائل المكتوبة، من حيث قدرتها على تحطيم سياقها الحقيقي، لتقرأ ضمن أنظمة سياقات جديدة، وهذا التحول و التكرار رغم غياب السياق هو ما يمكن الدليل من أن يشع بالمعاني، و التعالق النسقي الذي يحكم هذه العناصر المشعة هو ما يحكم نسيج النص ليجعل منه فضاء بلوريا فياضا بالمعاني".[5]

---

[1]- عادل عبد الله: التفكيكية.إرادة الاختلاف و سلطة العقل، دار الحصاد، دار الكلمة، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، 2000، ص13

[2]- عبد النور إدريس: تفكيكية جاك دريدا بين الكتابة و الكلام، مجلة فكر و نقد، العدد 64، 2004،(دص)

[3]- فهد الشقيران: جاك دريدا...فيلسوف التفكيك و التشتيت، جريدة الشرق الأوسط، 2014/04/26، العدد12933، (دص)

[4]- كريستوفر نوريس: التفكيكية. النظرية و الممارسة، ترجمة: صبري محمد حسن، دار المريخ، الرياض، (دط)، 1989، ص144

[5]- محمد طواع: ملاحقة سلطة المعنى، مرجع سابق،(دص)

إن قراءة دريدا ليست بالعملية السهلة فهو يبحث في كيفية زعزعة الثوابت التي لطالما اعتدنا عليها، لهذا فهو يدعو إلى الكتابة لأنها تنطوي على صيرورة البقاء حتى في غياب كاتبها، الأمر الذي لا نجده في الكلام.

لذلك حاول دريدا أن يتجاوز تلك القراءة الكلاسيكية محاولا بذلك أن يؤسس لقراءة أخرى للنصوص معتمدا على مقولات جديدة تمكن من رصد فعل الاختلاف، فالنص يعني بنية اختلافية والنظرية التفكيكية هي نظرية لقراءة النصوص و لتقديم المفارقات و التناقضات المتوارية و المختفية إلى العلن.

لذلك فإن "حركات التفكيك لا تتوسل بنى الخارج، إنها ليست ممكنة و لا ناجعة و لا تحكم تسديد ضربتها إلا بسكناها هذه البنيات، بسكناها إياها بصورة من الصور"،[1] فمن مهام التفكيك هو النفاد إلى عمق النص لاكتشاف علاقات الغياب والمسكوت عنه، خاصة و أن القراءات المستعجلة للنصوص قد توحي بفهم للنص وإدراك لبنيته، في حين أن عوالم النص العميقة لا تكون إلا من خلال القراءة الفاحصة التي يكون أساسها التفكيك و بهذا "يمكن لخفاء النسيج بأية حال أن يستغرق في حلّ نسيجه قرونا، النسيج منطويا على النسيج، قرون لحل النسيج، معيدا على هذا النحو بناءه كجسم حي".[2]

و يتضح من خلال هذا أن "نقطة الخلاف الجوهري بين الكلام و الكتابة هي الحضور، حضور المتكلم في حال حدوث الكلام، و بالتالي حراسته للمعنى و قتله لفعل الدلالة، على عكس الكتابة التي استطاعت التحرر من كاتبها، و تستطيع فتح المجال أمام حرية التأويل و اللعب الحر"[3]، هذا ما يجعل "المعنى عند دريدا صعب المنال لا يمكن تحديد مكانه و لا يمكن الزعم بوجود هوية محددة له أو تطابق ذاتي...إن المعنى بهذا الوصف هو إمكان فحسب، مدون في ارتباط يشير ضمنه إلى معنى آخر، و إلى جميع المعاني من خلال استغلال منتظم للاختلافات".[4]

لقد جاء مشروع علم الكتابة عند دريدا كتحدي لميتافيزيقا الحضور، تحدي لتفضيل الكلام على الكتابة و بذلك فهي قلب لتلك المركزية، مما تجعلها تعيد النظر في

---

[1]- جاك دريدا: الكتابة و الاختلاف، مرجع سابق، ص 126.

[2]- جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، مرجع سابق، ص13.

[3]- أحمد العزري: تلقي التفكيكية في النقد العربي الحداثي-علي حرب أنموذجا-، مرجع سابق، ص53.

[4]- محمد أحمد البنكي: دريدا عربيا، قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2005، ص75.

أهمية الكتابة و دورها. إذن مهمة التفكيك تقوم على إثارة الأساس غير المستقر في أي بناء لينهار هذا البناء و يتفكك ثم يعاد تركيبه من جديد[1]، فليس" هناك من نص متجانس. هناك في كل نص، حتى في النصوص الميتافيزيقية الأكثر تقليدية قوى عمل هي في الوقت نفسه قوى تفكيك للنص. هناك دائما إمكانية لأن نجد في النص المدروس نفسه ما يساعد على استنطاقه و جعله يتفكك سواء أتعلق الأمر بفرويد أم بهوسرل، بهايدغر أم بأفلاطون ، ديكارت أم كانت".[2]

لهذا بين دريدا أن محاولته قراءة نصوص أفلاطون و فرويد وهيدغر أو ديكارت ليس الوقوف عند حدود النقد الخارجي و إنما بهدف العثور على توترات أو تناقضات داخلية تسمح للنص بأن يقرأ نفسه بنفسه فهناك إمكانية لأن تجد في النص ما يسمح و يعين على استنطاقه لهذا نراه يصرح بأنه "لا يوجد ما هو خارج النص".[3]

و بهذا يستبعد دريدا أن يكون هناك نص متجانس فهو ينشد من خلال قراءاته "ليس النقد من الخارج و إنما الاستقرار أو التموضع في البنية غير المتجانسة للنص والعثور على توترات أو تناقضات داخلية يقرأ النص من خلالها نفسه و يفكك نفسه بنفسه".[4]

لذلك فقد كان هدف دريدا هو كشف جملة الممارسات الإقصائية التي تعرضت لها الكتابة في التراث الغربي في مقابل إعطاء الأهمية للكلام، و قد أثبت من خلال تتبعه "لتفاعل الكلام و الكتابة عند سوسير و غيره من المفكرين من أمثال روسو و هوسيرل و شتراوس و كوندياك أن الكلام نفسه شكل من أشكال الكتابة، إذا كانت للكتابة هذه الصفات التي ترتبط تقليديا بها، فوحدات الكلام لا تتصف فقط بصفة العلائقية التي تبدو على أشدها كما يقول سوسير، لأن صفة الغياب التي كان يظن أنها تميز الكتابة عن الكلام هي بالذات صفة الرموز قاطبة"[5]، و عليه كانت رؤية جاك دريدا قائمة على ضرورة قلب ذلك التصور الذي كان سائدا مند أفلاطون من خلال منح الكتابة دورا فاعلا و مهما.

---

[1]- حبيبة دباش: فلسفة الحضور و الغياب عند جاك دريدا، مرجع سابق، ص76

[2]- جاك دريدا: الكتابة و الاختلاف، مرجع سابق، ص49

[3]- جاك دريدا: في علم الكتابة، مرجع سابق، ص35

[4]- المرجع نفسه: ص49

[5]- جون ستروك: البنيوية و ما بعدها. من ليفي شتراوس إلى دريدا، مرجع سابق، ص 197

الكتابة التي كان أفلاطون يعتبر أنها تتطفل على ميدان هو من اختصاص الكلام، و مهما ادعت من قوة إلا أنها تبقى محاكاة ميتة للفعل الكلامي. و بالتالي المقارنة بين الكلام و الكتابة عند أفلاطون هو مثل المقارنة بين شيء حي و شيء ميت، و بهذا فإن دريدا "لا يعتبر الكتابة مجرد تدوين لكلام مكتوب و تثبيت للمنطوق أو حتى المفكر فيه، و إنما هي إعادة بناء للوعي".[1]

و بهذا المنظور فإن الكتابة ستصبح عاملا مهما فهي من شأنها أن تزيد من حدة الوعي لأن "المفهوم التحديثي للكتابة الذي سنَه دريدا، لا يجعلها وعاء للكلام فحسب، و لكن للغة برمتها، و هي سابقة عليهم".[2]

الخاتمة:

إن تمرد جاك دريدا على أسلوب الكتابة الميتافيزيقية التي تعطي الأهمية والأفضلية للكلام لم يكن عبثا بل كان من منطلق الأهمية التي تكتسيها الكتابة لا كوسيلة فقط بل اعتبارها كغاية كذلك، فتصبح الكتابة ضرورية لكل مجتمع وتتأسس باعتبارها كيانا خاصا فلا يمكن أن تبقى في علاقة تبعية، علاقة فرضتها الميتافيزيقا. ففكرة قيام علم الكتابة ضرورية بالنسبة لدريدا لأن المعارف لم تصل إلى درجة العلم إلا من خلال الكتابة.

قائمة المصادر و المراجع:

1- جاك دريدا: صيدلية أفلاطون، ترجمة: كاظم جهاد، دار الجنوب للنشر، تونس، 1998.

2- جاك دريدا: أحادية الآخر اللغوية، ترجمة: عمر مهيبل، منشورات الاختلاف، الجزائر، الطبعة الأولى، 2008.

3- جاك دريدا: الصوت و الظاهرة. مدخل إلى مسألة العلامة في فينومينولوجيا هوسرل، ترجمة: فتحي إنقزو، المركز الثقافي العربي، المغرب، الطبعة الأولى، 2005.

4- جاك دريدا: في علم الكتابة، ترجمة: أنور مغيث، منى طلبة، المجلس الأعلى للثقافة، المركز القومي للترجمة، القاهرة، الطبعة الثانية، 2008.

5- جاك دريدا: الكتابة و الاختلاف، ترجمة: كاظم جهاد، دار توبقال، المغرب، الطبعة الثانية، 2000.

[1]- ديوان السعيد: الكتابة في النقد التفكيكي عند جاك دريدا من خلال مؤلفه "الكتابة والاختلاف"، مرجع سابق، ص 131.

[2]- المرجع نفسه، ص132.

6- كريستوفر نوريس: التفكيكية. النظرية و الممارسة، ترجمة: صبري محمد حسن، دار المريخ، الرياض، (دط)، 1989.

7- جون ستروك: البنيوية و ما بعدها. من ليفي شتراوس إلى دريدا، ترجمة: محمد عصفور، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة و الفنون و الآداب، الكويت، العدد 206، 1996.

8- أ. دبليو (طوني بيتس)، غاري بول: التعليم الفعال بالتكنولوجيا في مراحل التعليم العالي. أسس النجاح، ترجمة: إبراهيم يحي الشهباني، العبيكان، الطبعة الأولى، 2006.

9- عادل عبد الله: التفكيكية. إرادة الاختلاف و سلطة العقل، دار الحصاد، دار الكلمة، سورية، دمشق، الطبعة الأولى، 2000.

10- أحمد عبد الحليم عطية: جاك دريدا و التفكيك، دار الفارابي، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 2010.

11- محمد أحمد البنكي: دريدا عربيا. قراءة التفكيك في الفكر النقدي العربي، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، بيروت، الطبعة الأولى، 2005.

الرسائل الجامعية:

1- أحمد العزري: تلقي التفكيكية في النقد العربي الحداثي –علي حرب أنموذجا-، مذكرة ماجستير، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2012.

2- يمينة بن سويكي: استراتيجية الخطاب النقدي عند عبد الله الغدامي، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2008.

3- حبيبة دباش: فلسفة الحضور و الغياب عند جاك دريدا، مذكرة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة، 2015.

4- ديوان السعيد: الكتابة في النقد التفكيكي عند جاك دريدا من خلال مؤلفه "الكتابة والاختلاف"، مذكرة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 2015.

المجلات:

1- فاطيمة زهرة سماعيل: القراءة التفكيكية، مجلة عود الند، العدد 79، 2013.

2- التيجاني بولعوالي: صورة الاسلام في المنظور الفلسفي التفكيكين مؤمنون بلا حدود للدراسات و الأبحاث، 2017.

3- عبدالكريم شرفي: خطيئة الغدامي من يكفر عنها؟ أو المسافة البعيدة بين "تشريحية الغدامي" و "تفكيكية دريدا"، مجلة الخطاب، جامعة المدية، 2010.

4- جوناثان كلر: التفكيك، ترجمة: حسام نايل، مجلة فصول، الهيئة المصرية العامة للكتاب، العدد 66، 2000.

5- محمد طواع: ملاحقة سلطة المعنى، أو دريدا مفككا للميتافيزيقا، مجلة فكر و نقد، العدد 29، 2000.

6- عبد النور إدريس: تفكيكية دريدا بين الكتابة و الكلام، مجلة فكر و نقد، العدد 64، 2004.

الجرائد:

1- عبد الله إبراهيم: الكتابة والترياق، جريدة الرياض 2014/9/6، العدد16875. www.alriyadh.com

2- فهد الشقيران: جاك دريدا...فيلسوف التفكيك والتشتيت، جريدة الشرق الأوسط 2014/4/26، العدد 12933 .http://aawsat.com.